الجمال البائس

ـ ٥ ـ

قلتُ لها : إنَّ كلمة الكُفرِ لا تكون كافرةً إذا أكره عليها مَنْ أُكره ، وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان . وكلمة الفجور أهولُ منها ، وأخفُّ وزناً ، وشأناً ، ثمَّ لا تكون إلا فاجِرةً أبداً ؛ إذ لا إكراه على هذه الدُّرَّة ! إكراهاً لا خيارَ فيه . وما أوَّلُ الدَّعارة إلا أن تمدَّ المرأةِ طرْفها من غير حياءٍ ، كما يمدُّ اللِّصُّ يدَه من غير أمانةٍ .

ومن اضطُرَّ إلى الكفر ؛ استطاع أن يخبأ مِحْرابَ المسجد في أعماقِه ، فيصلِّي ثمَّةَ ، ولكنَّ الفجورَ لا يتركُ في النَّفس موضعاً لدينٍ ، ولا إيمانٍ ؛ إذ هو دائبٌ في إثارة الغرائز الطَّبيعيَّة الحيوانيَّة المسترسلة بلا ضابطٍ ، فيجعلُ المرأةَ تحيا بعيدةً عن ضميرها ، فيُضعِف منها أوَّل ما يُضعف آثار الآداب ، والأخلاق ، فيُهلك فيها أوَّل ما يُهلك إحساسَها بمعنى المرأة الإنسانيَّة ، وشعورَها بمجد هذا المعنى .

فإذا انتهت المرأة إلى هذا ؛ لم يكن لها مبدأٌ ، ولا عقيدةٌ إلا أنَّ على غيرها أن يتحمَّل عواقب أعمالها ، وهذه بعينها هي حالة المجنون جنون عقله ، أفلا تكون المرأة حينئذٍ مجنونةً جنون جسمها . . ؟

* * *

فساءَها ذلك ، وبان فيها ، ولكنَّها أمسكت على ما في نفسها ؛ والمرأة من هؤلاء لا يمشي أمرها في النَّاس ، ولا يتَّصل عيشها ، إلا إذا كثرت طباعُها كثرة ثيابها ، فهي تخلع ، وتلبس من هذه ، وتلك لكلِّ يوم ولكلِّ حالةٍ ، ولكلِّ رجلٍ ؛ فينبعث منها الغضب ، وهي في أنعم الرِّضا ، كما ينبعث الرِّضا وهي في أشدِّ الغيظ ، وكأن لم تغضب ، ولم ترض ؛ لأنَّها ليست لأحدٍ ، ولا لنفسها .

وتساير غضبها ، ثمَّ قالت : كأنَّ كلامك : أنَّ لك رجاءً إليَّ ، فأنا أحبُّ . . أحبُّ أن أعلم .

قلت : وأنا كذلك أحبُّ . . أحبُّ أن أعلم .

فضحكت وسُرِّي عنها[١] ، وتثبَّتت على شفتيها ابتسامةٌ ، لو جاء مَلَكٌ من السَّماء ليضع في ثغرها ابتسامةً أجمل منها ؛ لما وجد أجمل منها .

ثمَّ قالت : تحبُّ أن تعلم ماذا ؟ .

قلت : أحبُّ أن أعلم منكِ قصَّة هذه الحياة ؛ ما كان أوَّلها ؟

قالت : لقد قضيت من حكمك فينا ، ولكنَّك أخطأت ؛ فلكلِّ ليلٍ مُظلمٍ كوكبُه ؛ والكوكب الوقَّاد المعلَّق فوق ليل المرأة منَّا هو إيمانها ؛ نعم إنَّه ليس كإيمان النَّاس في واجباته ، لكنَّه كإيمان النَّاس في تعزيته ، والله ربُّنا وربُّكم !

قلت : لو أطيعَ الله بمعصيته ؛ لاستقام لكِ هذا ؛ وإنَّما أنت تصفين الإيمان الأوَّل الَّذي كان عملاً ، فصار ذكرى ، فصارت الذِّكرى أملاً ، فظننتِ الأمل هو الإيمان !

قالت : ثمَّ إنَّنا جميعاً مكْرَهاتٌ على هذه الحياة ، فما نحن إلا صرعَى المصادمة بين الإرادة الإنسانيَّة وبين القدر .

قلت : ولكن لم تَهْفُ[٢] واحدة منكنَّ في غلطتها الأولى وهي مستكرهةٌ على غلطةٍ ، بلِ وهي راغبةٌ في لذَّةٍ ، أو مبادرةٌ لشهوةٍ ، أو طالبةٌ لمنفعة .

قالت : هذا أحد الوجهين ، أمَّا الآخر فالتماس الرِّزق ، وصلاح العيش ، فالرَّجل مع الرَّجل ، رأس مالِه قوَّتُه ، وعمله بقوَّته ، ولكنَّ المرأة مع الرَّجل رأس مالها أنوثتها ، وعمل أنوثتها ، وفي الوجه الأوَّل ـ وجه اللَّذة ، والمنفعة ـ تحتال كلمة الفجور على المرأة بكلماتٍ رقيقةٍ ساحرةٍ ؛ منها الحبُّ ، والزَّواج ، والسَّعادة ؛ فتستسلم المرأة مضطرةً ؛ ليقع شيءٌ من هذا . وفي الوجه الثَّاني ـ وجه الرِّزق ، والعيش ـ تحتال الكلمة الخبيثة الفاجرة على المرأة المسكينة المستضعفة بكلماتٍ رهيبةٍ قاتلةٍ ، منها : الجوع ، والفقر ، والشَّقاء ؛ فتسقط المرأة مضطرةً ؛ خيفة أن يقع شيءٌ من هذا ، وفي أحد الوجهين يكون الرَّجل هو الفاجر ؛ لفساد آدابه ؛ وفي الوجه الآخر يكون الفاجر هو المجتمع ؛ لفساد مبادئه !

* * *

---

(١) « سري عنها » : كُشف عنها الهمُّ .

(٢) « تهف » : تسرع ، أو تزلُّ ، وتسقط .

قلت : أنا لا أنكر : أنَّ المرأة إذا سقطت في هذه المدنيَّة ؛ لم تقع أبداً إلا في موضع غلطةٍ من غلطات القوانين ، وآفة هذه القوانين : أنَّها لم تسَنَّ لمنع الجريمة أن تقع ، ولكن للعقاب عليها بعد وقوعها ، وبهذا عجزت عن صيانة المرأة وحفظِها ، وتركتها لقانون الغريزة الوحشيِّ ، في هؤلاء الوحوش الآدميِّين ؛ الَّذين يأخذهم السُّعار[1] من هذه الرَّائحة ؛ الَّتي لا يعرفونها إلاَّ في اثنين : المرأة الجميلة ، والذَّهب ، فما ألجأت امرأةً حاجتُها ، أو فقرُها إلى أحدهم ورأى عليها جمالاً ، إلا ضربه ذلك السُّعار ، فإن استخفَّت بنزَواته ، وتعسَّرَت عليه ؛ طردَها إلى الموت ، ومنعها أن تعيش من قِبله ؛ وإن صَلحت له ، وتيسرَت ؛ آواها هي ، وطَرد شرفها . . .

وبخلاف ذلك الدِّين ، فإنَّه قائم على منع الجريمة وإبطال أسبابها ، فهو في أمر المرأة يُلزِمُ الرَّجل واجباتٍ ، ويُلزم للمجتمعَ واجباتٍ غيرَها ، ويُلزم الحكومة واجباتٍ أخرى .

أمَّا الرَّجل ؛ فينبغي له أن يتزوَّج ، ويتحصَّنَ ، ويغارَ على المرأة ، ويعملَ لها ، وأمَّا المجتمع ؛ فيجب عليه أن يتأدَّب ، ويستقيم ، ويُعينَ الفردَ على واجباتِ الفضيلة ، ويتدامج ويشُدَّ بعضُه بعضاً ، وأمَّا الحكومة ؛ فعليها أن تحميَ المرأة ، فتعاقبَ على إسقاطها عِقاب الموت ، والألم ، والتَّشهير ، لتُقيمَ من الثَّلاثة حُراساً جبابرةً ، مَنْ لا يَخشى اللهَ خشيها ، فليس يمكن أبداً أن يكون في ديننا موضع غلطةٍ تسقط فيه المرأة .

قال الأستاذ (ح) : صدقتَ ، فالحقيقة ؛ الَّتي لا مِراء فيها ، أنَّ فكرة الفجور فكرةٌ قانونيةٌ ؛ وما دام القانون هو أباحها بشروطٍ ، فهو الَّذي قرَّرها في المجتمع بهذه الشُّروط ، ومِن هذا التَّقرير يُقدِمُ عليها الرَّجل والمرأة كلاهما على ثقةٍ ، واطمئنانٍ ، ومن ثمَّ تأتي الجُرأة على اندفاع النَّاس إلى ما وراءَ حدود القانون ، ومن هذا الاندفاع تأتي السَّاقطة بآخر معانيها ، وأقبح معانيها .

وتقرير سيادة المرأة في الاجتماع الأوربيِّ ، وتقديمها على الرِّجال ، والتأدُّب معها ، كلُّ ذلك يجعل جراءَة السُّفهاء عليها جراءَة متأدِّبةً ، حتَّى كأنَّ المتحكِّكَ منهم

(١) « السُّعار » : التهاب العطش وغيره .

في امرأةٍ يقول لها : من فضلك كوني ساقطةً . . . أمّا هنا فجراءَة السُّفهاء جراءةٌ ، ووقاحةٌ معاً ، وذلك هو سرُّها .

القانون كأنَّما يقول للرِّجال : احتالوا على رضا النِّساء ، فإن رضينَ الجريمة ؛ فلا جريمة ، ومن هذا فكأنَّه يعلِّمهم أنَّ بَراعة الرَّجل الفاسق إنَّما هي في الحيلة على المرأة ، وإيقاظ الفطرة في نفسها بأساليب من الملق ، والرِّياء ، والمكر ، تتركها عاجزةً لا تملك إلا أن تذعِن ، وترضى ، وبهذا ينصرف كلُّ فاجرٍ إلى إبداع هذه الأساليب ؛ الَّتي تطْلق تلك الفطرة من حيائها ، وتخرجها من عفَّتها ، « تطبيقاً للقانون » . . .

ولا سيادةَ في اجتماعنا للمرأة ، ولكنَّ القانونَ جعلها سيِّدةَ نفسها ، وجعلها فوق الآداب كلِّها ، وفوق عقوبة القانون نفسه ؛ إذا رضيت؛ إذا رضيت ؛ ماذا . . . ؟

* * *

قلتُ : فإذا كان القانون هنا في مسألتنا هذه يَعدِل بالظُّلم ، ويحمي الفضيلة بإطلاق حريَّة الرَّذيلة ؛ فهو إنَّما يُفسد الدِّين ، ويصرف النَّاسَ عن خوف الله إلى خوف ما يُخاف من الحكومة وحدَها ، وبهذا لا يكون عمله إلا في تصحيح الظَّاهر من الرَّجل ، والمرأة ، ويدَع الباطن يُسِرُّ ما شاء من خُبثه ، وحيلتِه ، وفساده ؛ فكأنه ليس قانوناً إلا لتنظيم النِّفاق ، وإحكامِ الخديعة : فلا جَرَمَ كان قانوناً لحالة الجريمة ، لا للجريمة نفسها ؛ فإذا أُخذت المرأة مُلايَنةً ورِضاً ؛ فهذا فجورٌ قانونيٌّ . . ؛ وإن كانت المُلايَنة هي عملَ الحيلة والتَّدبير ، وإن كان الرِّضا هو أثرَ الخداع والمكر ، وإن ضاعت المرأة ، وسقطت ، وذهب شرفها باطلاً ، وألحقه النَّاس بما لا يكون من تَوبة إبليس ، فلا يكون أبداً ! أمَّا إذا أُخِذت المرأة مُكارَهةً وغصْباً ؛ فهذه هي الجريمة في القانون ؛ ويسمِّيها القانون : جريمةَ الاعتداء على العِرض ، وهي بأنْ تسمَّى : جريمة العجز عن إرضاء المرأة أحقُّ وأولى !

على أنَّ المسكينة لم تؤخذ في الحالتين إلا غصْباً ، ولكن اختلفت طريقة الرَّجل الغاصب ، فإنَّ كلتا الحالتين لم تتأدَّ بالمرأة إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، هي إخراجها من شرفها ، وحِرمانُها حقوق إنسانيَّتها في الأسرة ، وطردُها وراء حدود الاعتبار الاجتماعيِّ ، وتركها ثمَّةَ مُخلاَّةً لمجاري أمورها ، فلا يتيسَّر لها العيش إلا

من مثل ذلك الرَّجل الفاجر ، فلا تكون لها بيئةٌ إلا من أمثاله ، وأمثالها ؛ كما يجتمع في الموضع الواحدِ ، أهلُ المصير الواحد ، على طريقة القطيع في المجزرة !

* * *

فقالت هي : الحقُّ : أنَّ هذه الجريمة أوَّلها الحبُّ ؛ وهي لا تقع إلا من بينِ نقيضين يجتمعان في المرأة معاً : كِبرُ حبِّها إلى ما يفوتُ العقل ، وصِغر عقلها إلى ما يتنزل عن الحبّ ، والمرأة تظلُّ هادئةً ، ساكنةً ، رزينةً ، حتَّى تصادفها اللِّحاظُ النَّاريَّة من العين المقدَّرة لها ، فلا يكون إلا أن تملأها ناراً ، ولهباً ، ولتكن المرأة مَنْ هِيَ كائنةً ، فإنَّها حينئذٍ كمستودع البارود : يهولُ عِظمُه وكِبره ، وهو لا شيء إذا اتَّصلت به تلك الشَّرارةُ المهاجِمة .

وليست حراسة المرأة شيئاً يُؤبَه له ، أو يُعتَدُّ به ، أو يسمَّى حراسةً ، إلا إذا كانت كالتَّحفُّظ على مستودَع البارود من النَّار ؛ فيستوي في وسائلها الخوف من الشَّرارة الصَّغيرة ، والفزعُ من الحريق الأعظم ، فيُحتاطُ لاثنيهما بوسائلَ واحدةٍ في قَدْرٍ واحدٍ ، واعتبارٍ واحد .

وإذا تُركت المرأة لنفسها تحرسُها بعقلها ، وأدبها ، وفضلها ، وحرِّيَّتها ؛ فقد ترك لنفسه مستودعَ البارود تحرسُه جدرانه الأربعة القويَّة .

والرِّجال يعلمون : أنَّ للمرأة مظاهرَ طبيعيَّةً ، من الخيَلاء ، والكبرياء ، والاعتداد بالنَّفس ، والمباهاةِ بالعفَّة ، ولكنَّ هؤلاء الرِّجالَ أنفسَهم يعلمون كذلك : أنَّ هذا الظاهر مخلوقٌ مع المرأة كجلد جسمِها النَّاعم ، وأنَّ تحته أشياءَ غير هذه تعمل عملَها ، وتصنعَ البارودَ النِّسائيَّ ؛ الَّذي سينفجر . . .

* * *

قلت : إذا كان هذا ؛ فقبَّحَ الله هذه الحرِّيَّة ؛ الَّتي يريدونها للمرأة ؛ هل تعيش المرأةُ إلا في انتظار الكلمةِ ؛ الَّتي تحكمها بلطفٍ ، وفي انتظار صاحب هذه الكلمة ؟

قالت : إنَّ هذا حقٌّ لا ريب فيه ، وأوسعُ النِّساء حرِّيَّة أضيعُهنَّ في النَّاس ؛ وهل كالمومِسِ في حريَّتها في نفسها ؟!

ولكن يا شُؤمها على الدُّنيا ! إنَّها هي بعينها ـ كما قلتَ أنت ـ حرِّية المخلوق الذي يُترك حرّاً كالشَّريد ؛ لتُجَرِّبَ فيه الحياةُ تجاريبها المؤلمة ؛ وماذا في يد المرأة من حرِّيَّةٍ هي حرِّيَّة القَدَرِ فيها ؟

قلت : ولهذا لا أرجع عن رأيي أبداً ، وهو : **أنَّه لا حرِّيَّةَ للمرأة في أمَّةٍ من الأمم إلا إذا شعر كلُّ رجلٍ في هذه الأمَّة بكرامة كلِّ امرأةٍ فيها ، بحيث لو أهينت واحدةٌ ؛ ثار الكلُّ ، فاستقادوا لها**[1] ، **كأنَّ كراماتِ الرِّجالِ أجمعين قد أهينت في هذه الواحدة ؛ يومئذٍ تصبح المرأة حرَّةً ، لا بحرِّيَّتها هي ، ولكن بأنَّها محروسةٌ بملايين من الرِّجال** .

فضحكت ، وقالت : (يومئذٍ) ! هذا اسمُ زمان ، أو اسم مكان . . ؟

* * *

قال الأستاذ (ح) : ولكنَّا أبعدنا عن قصَّةِ هذه الحياة : ما كان أوَّلها ؟

قالت : إنَّ للشُّبَّان ، والرِّجال علمٌ يجب أن تعلمه الفتاة قبل أوان الحاجة إليه . يجبُ أن يَقرَّ في ذهنِ كلِّ فتاةٍ : أنَّ هذه الدُّنيا ليست كالدَّار فيها الحبُّ ، ولا كالمدرسة فيها الصَّداقة ، ولا كالمحلِّ ؛ الَّذي تبتاع منه منديلاً من الحرير ، أو زجاجةً من العطر ، فيه إكرامُها ، وخدمتُها .

وأساس الفضيلة في الأنوثة الحياءُ : فيجب أن تعلم الفتاة : أنَّ الأنثى متى خرجت من حيائها ، وتهجَّمتْ ـ أي : توقَّحت ، أي : تبذَّلت ـ استوى عندها أن تذهب يميناً ، أو تذهبَ شمالاً ، وتهيَّأتْ لكلٍّ منهما ، ولأيِّهما اتَّفق ، وصاحباتُ اليمين في كنف الزَّوج ، وظلِّ الأسرة ، وشرفِ الحياة . وصاحبات الشِّمال ؛ ما صاحبات الشمال . . . ؟!

قلت : هذا هذا ؛ إنَّه الحياءُ ، الحياء لا غيره ؛ فهل هو إلا وسيلةٌ أعانت الطَّبيعة بها المرأةَ ؛ لتسموَ على غريزتها متى وجب أن تسموَ ، فلا تلقى رجلاً إلا وفي دمِها حارسٌ لا يغفُل . وهل هو إلا سَلبٌ جمعته الطَّبيعة إلى ذلك الإيجاب ؛ الذي لو انطلق وحده في نفس المرأة ؛ لاندفعتْ في التبرُّج ، والإغراء ، وعرْضِ

---

(١) « استقادوا لها » : أخذوا لها حقَّها من المعتدي عليها .

أسرارِ أنوثتها في المعرض العامّ . . . ؟

قالت : ذاك أردتُ ، فكلُّ ما تراه من أساليب التَّجميل ، والزِّينة على وجوه الفَتيات ، وأجسامِهنَّ في الطُّرق ، فلا تعُدَّنَّه من فَرْط الجمال ، بل من قلَّة الحياء .

واعلم : **أنَّ المرأة لا تخضعُ حقَّ الخضوع في نفسها إلا لشيئين : حيائها ، وغريزتها .**

قلت : يا عجباً ! هذا أدقُّ تفسيرٍ لقول تلك المرأة العربيَّة : « تجوع الحرَّة ولا تأكل بثدييها !» . فإن اختضعتْ المرأة للحياء ؛ كفَّت غريزتها .

قالت : . . وجعلها الحياءُ صادقةً في نفسها ، وفي ضميرها ، فكانت هي المرأة الحقيقيَّة الجديرة بالزَّوج ، والنَّسل ، وتوريثِ الأخلاق الكريمة ، وحفظها للإنسانيَّة .

قلت : وَمِنْ هذا يكون الإسراف في الأنوثةِ ، والتبرُّج أمام الرِّجال كذِباً من ضمير المرأة .

قالت : ومن أخلاقها أيضاً : ألا ترى : أنَّ أشدَّ الإسراف في هذه الأنوثة ، وفي هذا التبرُّج لا يكونُ إلا في المرأة العامَّة . . . ؟

قلت : والمرأة العامَّة امرأةٌ تجاريَّةُ القلب ، فكأنَّ المسرفةَ في أنوثتها ، وتبرُّجِها ، هذه سبيلُها ، فهي لا تؤمَنُ على نفسها .

قالت : قد تؤمَن على نفسها ، ولكأنَّها أبداً مُومِسُ الفكر في الرِّجال ، فيوشِك ألا تُؤمَن ، وهي رهنٌ بأحوالها ، وبما يقع لها ، فقد يتقدَّم إليها الجريء ، وقد لا يتقدَّم ، ولكنَّها بذلك كأنَّها معْلنةٌ عن نفسها أنَّها « مستعِدةٌ ألا تؤمَن » .

قال (ح) : لكن يقال : إنَّ المرأة قد تتبرَّج ، وتتأنَّث ؛ لترَى نفسَها جميلةً فاتنةً ، فيعجبها حسنها ، فيسرُّها إعجابُها .

قالت : هذا كالقول : إنَّ أستاذ الرَّقص الَّذي رأيتَه هنا ، ينظر إلى نفسه كما ينظر رجلٌ إلى راقصةٍ تتأوَّدُ[1] ، وتهتزُّ ، وتترجرَج . إنَّ هذا الرَّقاص فيه الحركة الفنيَّة ، كما هي حركةٌ ليس غير ، فهو كالميزَانِ ، أو القياس ، أو أيِّ آلات

---

(١) « تتأود » : تنعطف ، وتنحني .

الضَّبط ، أمَّا فتنة الحركة ، وسحرها ، ومعناها من المرأة الفاتنة في وهم الرَّجل المفتون بها ، فهذا كلُّه لا يكون منه شيءٌ في أستاذ الرَّقص ، وإن كان أستاذَ الرَّقص .

إنَّ أجملَ امرأةٍ تبصقُ بفمِها على وجهها في المرآة ، إذا مُحيَ الرَّجلُ من ذهنها ، أو لم يُطِلَّ بعينيه من وراء عينيها ، أو لم تكن ممتلئةَ الحواسِّ به ، أو بإعجابه ، أو بالرَّغبة في إعجابه ، فمهما يكن من جمال هذه ؛ فإنَّها لا ترى وجهها حينئذٍ إلا كالدُّنيا ؛ إذا خلتْ من العدل . . .

* * *

قلت : ولكنَّا أبعدنا عن « قصَّة هذه الحياة : ما كان أوَّلها ؟! »

قالت : سأفعل ذلك لموضعِك عندي : إنَّ قصتي في الفصل الأول منها هي قصَّةُ جمالي ؛ وفي الفصل الثَّاني هي قصَّة مرض العذراء ، وفي الفصل الثَّالث هي قصَّة الغفلة ، والتَّهاوُن في الحراسة ؛ وفي الفصل الرَّابع هي قصَّة انخداع الطَّبيعة النِّسويَّة المبنيَّة على الرِّقَّة ، وإيجاد الحبِّ ، وتلقِّيه ، والرَّغبة في تنويعِه أنواعاً للأمل ، والزَّوج ، والولد ؛ ثمَّ في الفصل الخامس هي قصَّة لؤم الرَّجل ، كان محبَّاً شريفاً ، يُقسمُ بالله جَهدَ أيمانه ، فإذا هو كالمزوِّر ، والمحتالِ ، واللِّصِّ ، وأمثالهم ممَّن لا يُعرفون إلا بعد وقوع الجريمة .

ثمَّ سكتتْ هُنيهَةً ، فكأنَّ سكوتها يُتِمُّ كلامَها . . .

وقال (ح) : فما هو مرضُ العذراء ؛ الَّذي كان منه الفصلُ الثَّاني في الرِّواية ؟

وقالت : كلُّ عذراء فهي مريضةٌ إلى أن تتزوَّج ؛ فيجب أن يُعْلمها أهلها : أنَّ العلاج قد يكون مسموماً ؛ وينبغي أن يَحوطوها بقريبٍ من العناية ؛ الَّتي يحاط المريض بها ، فلا يُجعَل ما حوله إلا ملائماً له ، ويُمنع أشياءَ ؛ وإن أحبَّها ، ورغِب فيها ، ويُكرَه على أشياء ؛ وإن عافها ، وصَدَف عنها .

قال (ح) : فيكون القانون الاجتماعيُّ تصديقاً للقانون الدِّينيِّ من أن الذُّكورة هي في نفسها عداوةٌ للأنوثة ، وأنَّ كلَّ رجلٍ ليس ذا رَحِمٍ محرَمٍ[1] يجب أن يكون

(١) يقال : ذو رحمٍ محرمٍ ؛ أي : لا يحلُّ للمرأة ، كأبيها وأخيها . . . إلخ . (ع) .

مرفوضاً إلا في الحالة الواحدة المشروعة ، وهي الزَّواج .

قالت : فتكون المشكلة الاجتماعية هي : من ذا يُرغم الذُّكورة على هذه الحالة الواحدة المشروعة ؛ كيلا تضيع الأنوثة ؟

قال : ولكن إذا كان سقوط الفتاة هو جناية « الزَّواج المزوَّر » ، فما عسى أن يكون سقوط بعض المتزوِّجات ؟

قالت : هو جناية « الزَّواج المنقَّح » . . . تريد أنفسهنَّ الخبيثة تنقيح الزَّوج ؛ والمومِسات أشرف منهنَّ ؛ إذ لا يعتدين على حقٍّ ، ولا يخنَّ أمانةً .

* * *

ورفَّ على وجهها في هذه اللحظة شُعاعٌ من الشَّمس كان على جبينها كصفاءِ اللؤلؤ ، ثُمَّ تحوَّل على خدِّها كإشراق الياقوت ، ورأتني أتأمَّله ، فقالت : أنا منتشِيةٌ بحظِّي في هذه السَّاعات ، وهذا الشُّعاع إنَّما جاء يختم نورَها .

ثمَّ كانت السُّخرية العجيبة : أنَّها لم تتمَّ كلمةُ النُّور حتى جاء حظُّها الحقيقيُّ من حياتها . . . وهو رجلٌ يتحظَّاها ؛ فلما أخذته عينُها ؛ ابتسمتْ له ابتساماً من الذُّلِّ ، لو لم تجعله هي ابتساماً ؛ لكان دموعاً ، ثُمَّ وقفت ، وما تتماسك من الهمِّ ، كأنَّها تمثالٌ « للجمال البائس » ؛ ثمَّ حَيَّتْ ، وسلَّمت ، وودَّعت ، وبعد « واواتٍ » أخرى . . . مشت ساكنةً ، ومرْآها يَضِجُّ ، ويبكي !

فوداعاً يا أوهام الذَّكاء ؛ الَّتي تلمِسُ الحقائق بقوَّةٍ خالقةٍ تزيد فيها !

ووداعاً يا أحلام الفكر ؛ التي تضع مع كلِّ شيءٍ شيئاً يُغيِّره !

ووداعاً يا حبَّها . . . . . !

* * *